كلمة الأستاذ فارس ملكي في كنيسة القدّيس يوحنا المعمدان ـ بيت شباب،
«الطوباوي ليونار عْوَيس ملكي: سيرة حياة واستشهاد»،
الإثنين ١٠ حزيران ٢٠٢٤

مقدمة

ليونار عويس ملكي هو راهب كبّوشي من بعبدات. ولد سنة ١٨٨١. بيّو حبيب عويس ملكي من بعبدات، وإمو نورا بو موسي يمين من بيت شباب. كان إسمو يوسف، وعيلتو مؤلّفة من ١١ ولد، ٦ صبيان وخمس بنات.
بهيديك الإيّام كانت بعبدات كلّا موارنة، وليونار تعمّد بالكنيسة المارونيّة. وبعد كم سني صار في مشاكل ببعبدات بين الأهالي، وقسم منن ترك الكنيسة المارونية، وانتقل عالكنيسة اللاتينية، وإجو الكبّوشيي ت يهتمو فين. أهلو لليونار كانو بين اللي صارو لاتين، منشين هيك ليونار نال سرّ التثبيت بالكنيسة اللاتينية. وبعدين لَمّا صار راهب كبّوشي، وعيّنو بإرسالية تركيا، مطرح ما في لا موارنة ولا لاتين، كانت خدمتو بين السريان والأرمن والكلدان. كان لكلّ الناس، وبيصلح أنو يكون شفيع الحركة المسكونية بالشرق.
لما فات عالرهبنة كان عمرو ١٤ سنة. بعتو عالإكليريكية بتركيا مطرح ما بيعملو تنشئة للمرسَلين، راح مع بعض الشباب البعبداتيي اللي من عمرو، ومنن رفيقو الطوباوي توما صالح. تابع الدراسة لمدّة ١٢ سنة، ورُسم كاهن ب ٤ كانون الأوّل ١٩٠٤، وتخرّج بنيسان ١٩٠٦ مع شهادة مُرسَل بابوي.

ليونار الرسول

أوّل ميزة لليونار هي أنّو كان رسول، يعني حامل رسالة، هي كلمة الربّ يسوع وإنجيلو ووصايا وتعليمو، هي ذاتو المَيّت عالصليب والقايم من بين الأموات، لازم يوصلا لكلّ الناس، بالأقوال وبالأفعال. كلّ واحد منّا في يكون رسول ببيئتو بعيلتو بشغلو برعيتو، لكن ليونار أخد الرسالة لأقصى الحدود. ترك كلّ شي، عيلتو وأصحابو وضيعتو بعبدات وعاداتو وعواطفو بعمر المراهقة... وراح لمطرح ما بيعرف عنّو شي، لا سكانو ولا عاداتن ولا حتّى لغتن، مدفوع بغيرتو الرسوليّة لإعلان الربّ يسوع والبشارة الحلوي. طبّق المتل اللي بيقول: يا إمّي زتّيني ويا عدرا استلقيني.
تعيّن ليونار بإرسالية أرمينيا وبلاد ما بين النهرين، بتركيا الحالية، يللي كانت تضمّ ٦ مراكز بأورفا وماردين وديار بكر ومعمورة العزيز وخربوط وملاطية، كان عندن فيا الكبّوشيي ديورا ومدارس.

ـ ليونار بلّش خدمتو بمدينة ماردين. وكانت هيّني علَي نسبيًا لأنو بماردين بيحكو عربي. بقول بإحدى رسايلو:
«لَمّا وصلت لمركز الرئاسة العامّة بمدينة أورفا، أمرني الأب المفوّض الرسولي أنو ضلني هون وأنظر أمر تعييني. وبعد شهر تقريبًا، أُمرت بالتوجّه لماردين. حنيت راسي وشكرت الربّ».
من الأوّل منشوف عند ليونار شخصيّة قنوعة ومُطيعة.

ـ بماردين استلم إدارة مدرسة الكبّوشيين. كان علي يهتمّ بالبرامج والأساتذة والتلاميذ وأهلن. وكمان كان هو يعلّم ت يوفّر أجرة أساتذة. علّم اللغة الفرنساوية والموسيقى. الشغل بالمدرسة كتير والهموم كبيرة.

ـ وكان عندو كمان الإرشاد.

* وين ما بكونو الكبّوشيي كانوا دايمًا يأسسو رهبنة مار فرنسيس التالتي للعلمانيين. ليونار كان مرشدن، يحضر اجتماعاتن وصلواتن ويعطين موضوع كلّ شهر. الإخوة بالرهبنة التالتي حبّو كتير، وضلُّن أمينين لإلو وليللي علّمن يا. وصل عددن لأكتر من ٤٠٠ عضو.

لَمّا العسكر التركي داهم دير ليونار، شاف بالكنيسة ورقة معلّقة ليونار عالباب، وفيا أسامي رهبنة مار فرنسيس. قالولو: فرنسيس آه... يعني فرنسا... إنت عم تجمع شباب مع فرنسا ضدنا. وكانت حجّة ت يجرّو عالحبس.

ولَمّا أخدو بالقافلة، مع غيرو من المسيحيين ت يقتلون، كان هو ماشي ع راس القافلة، وواحد من الرهبنة التالتي ع شمالو، وواحد تاني ع يمينو. وتلاتن مربطين جرين مع بعضن البعض.

كان في واحد من الرهبنة التالتي إسمو الياس كَسبو. لَمّا شاف العسكر التركي بَلَّش يصفّي رفقاتو، خاف كتير وصار يرجف ويبكي. لَمّا وِصِل دَوْرو، دَفَشو العسكري التركي بقوّي وقلّو: يا حمار، نْكر مسيحك وعمل مسلم، لا وإلاّ رح تموت متلك متل رفقاتك. وبهاللحظة، إجا قوّي غريبة عجيبة، وقلّو للعسكري: بحياتي كلاّ ما بنكر يسوع وبصير مسلم. ساعتا قلّو العسكري: ما زال هيك، خد ع ما يسرّ بخاطرك. تجمعو حولو العسكر، وبلّشو يضربو ويلبطو، ووصلو ت يقطعولو صابيعو واحد ورا التاني، وهنّي عم يضحكو، وهويّ يقول ورا كلّ ضربة: كرمالك يا يسوع. وهيك فارق الياس كاسبو الحياة الأرضيّة الفانية، وانتقل ع الحياة السماويّة الأبديّة، متلو متل معلّمو ليونار.

* وكان مرشد كمان لـ «جوقة الشرف للقلب الأقدس» وهي أخويّة بكرّس أعضاءا ساعة كلّ يوم، بالمداورة، بيصلّوا فيا لقلب يسوع.

* وكمان مرشد لأخوية الدم الزكي أو دم الربّ يسوع الثمين. كانت منتشرة بهيديك الإيّام. ولَمّا عرفو العسكر التركي هيك قالولو: آه في قصّة دم، إنت بدك تهدر دم المسلمين، حجّة إضافية ت يعذبو أكتر وأكتر.

* وكمان إرشاد الراهبات. مطرح ما كانو الكبّوشيي يفتحو مدرسة للصبيان، كانوا يجيبو الراهبات الفرنسيسكانيات يفتحو مدرسة للبنات. والراهبات بحاجة لكاهن يقدسلن ويعرّفن ويساعدن.

ـ وفوق كلّ شي كان عندو الخدمة المقدّسة، يعني إقامة الذبيحة الإلهيّة، وخدمة الأسرار، وخصوصًا سرّ الاعتراف. بقول بإحدى رسايلو:

«بقضي ساعات طويلة بكرسي الاعتراف، أيّام الآحاد والأعياد. خدمتنا موجَّهة للكاثوليك الشرقيّين، من أرمن وسريان وكلدان، يللي بيجو ع كنيستنا بأعداد كبيرة، وهني مبسوطين».

إذًا رسالة ليونار كانت التعليم، والإرشاد، والخدمة المقدّسة، يقوم فين كلّن بكلّ طيبة خاطر وتضحية، ولا مرّة تدمّر من كترة الشغل، من وقت يللي تعيّن بتركيا سنة ١٩٠٦ لوقت ما بلّشت الحرب العالميّة الأولى سنة ١٩١٤.

ليونار الشهيد

تاني ميزة لليونار هي الاستشهاد. كان شاهد للربّ يسوع، وأمين ع تعليمو وتعليم كنيستو. كلّ واحد منّا في يكون شاهد بمحيطو، بعيلتو، بشغلو، برعيتو، لكن ليونار أخد الشهادة لأقصى الحدود، حتّى الاستشهاد، وكسر جسدو وسفك دمّو ت يضل أمين. ما لكّ وما خضع للإغراءات.

بأواخر شهر تموز، سنة ١٩١٤، كان ليونار مستضيف بديرو المطران الأرمني مالويان، والمطران السرياني

تبوني، مع الكهنة تبعولن، لرياضة روحية قام فيا الأب أندريه جوستينياني اليسوعي. بالكاد خلصت الرياضة حتى طلع خبر إعلان النمسا الحرب، وكانت بداية الحرب العالميّة الأولى يللي رح تضل ٤ سنين، ويتواجه فيا ألمانيا والنمسا والسلطنة العثمانية من مَيل، ضد فرنسا وإنكلترا وروسيا من المَيل التاني.
ليونار انشغل فكرو كتير، وما عاد عارف شو بدو يعمل. هل رح يقدر يفتح المدرسي؟ شو مصير الأساتذة والتلاميذ؟ شو بدو يعمل بالراهبات اللي هو مسؤول عنن، وبمدرسة البنات؟ كيف بدو يكمّل حياتو بالدير بعد ما فلّو الرهبان الفرنساويي ت يلتحقو بالخدمة العسكرية الإجبارية، وبقي بالدير لوحدو مع أبونا دانيال التلياني الكبير بالعمر؟

بلّشت أخبار الحرب توصل، وصار المستقبل غير مضمون، والخوف ع حياة ليونار موجود. بتوصل رسالة من رئيس الإرسالية لكلّ مراكز الكبّوشيي بيطلب منن الإخلاء فورًا، والتجمّع بديار بكر، عاصمة الولاية. بردّ ليونار عالرسالة وبقول: «أكيد أنا رايح لأنّو مَنّي حابب أبدًا موت ع إيدين هالوحوش». ليونار حابب الحياة، متل كلّ شخص طبيعي، بعدو شبّ، عمرو ٣٤ سنة. لكن صار معو شي غيّرلو تفكيرو وقرارو. مشروع الربّ لإلو ما كان متل ما هو بدّو.
هو عم يغادر الدير بقلّو أبونا دانيال: شو رح تتركوني لوحدي! هالكلمة هي، ومنظر أبونا دانيال المحبط، وسؤالو المحرج، برمو براس ليونار، وبلحظات صار يتذكّر فضل أبونا دانيال، وإنجازاتو برسالة ماردين، والمحبّة الأخويّة المطلوبة بين الرهبان، وكلام الربّ يسوع: ما في حبّ أعظم من أنو يضحّي الإنسان بذاتو كرمال أحبائو... وعلى الأثر، غيّر رأيو، وقرّر أنو يضلّ بالدير، وهو عارف أنو مستقبلو غير مضمون، وحياتو بخطر.
وضلّ هالوضع حتّى آخر السنة، لَمّا داهم العسكر التركي ديرو ودير الراهبات، وشحطن كلّن لبرّا، وصادر الديرين وحوّلن لمركز لإلو، ونهب كلّ موجوداتن. أوّل شي عملو ليونار هو أنو ركض عالكنيسة، فتح بيت القربان، ونقل كلّ الموجودات ع بيت أحد المؤمنين القريب. تاني نهار نقلن ع كنيسة السريان. وصار كلّ ليلي ينام مطرح، ومرّات ينام برّا عالطريق أو تحت شي شجرة، ومرّات يساقب العسكري حارس الدير آدمي، يسمحلو يرجع ينام بالدير، بس مش بقوضتو... ببيت المونة.

مرقت الشهور وليونار ع هالوضع حتّى بداية شهر حزيران ١٩١٥. بهالوقت وصل ع ماردين فرقة خاصّة، بقيادة ممدوح بك، لتنفيذ أوامر التهجير والقتل الصادرة عن طلعت باشا، وعن رشيد بك والي ديار بكر، بعد ما رفض متصرّف ماردين، حلمي بك، تنفيذ الأوامر. كان حلمي بك رجال آدمي، وما طلع بإيدو يقتل المسيحيين من دون سبب. هدّدو الوالي وقَلّو إذا ما بتنفّذ الأوامر بشيلك من مركزك. قلّو ما بدّي نفّذ. قلّو إذا هيك، حضّر غراضك وبكرا قبل الضو بتروح عالموصل. وبعت الوالي أحد الأشخاص ت يقتلو عالطريق. شائت العناية الإلهيّة أنو هالشخص صديقو لحلمي بك. بعتلو خبر ت يهرب بسرعة. وهيك خلّص.

ت نرجع لهالفرقة الخاصّة اللي إجت ع ماردين، ورئيسا ممدوح بك يللي رح يقود مع زمرتو كلّ الحملات ضدّ المسيحيي، يلقطن ويعذبن ويقودن لبرّات المدينة بالغابات والصحاري ويقتلن هونيك. في وصف لهالشخص، بيعطي الأب ياسنت سيمون الدومينيكي، اللي كان موجود بماردين، وكان يشوف ممدوح ويسمع عنّو، بقول:

«كانت الناس ترجف بمجرّد تسمع إسمو. نظراتو بتلعي النفس، وكانت كل السلطات بإيدو. كان يمشي ويتمختر قد ما شايف حالو، ولمّا يحكي، دغري بينكشف قديش هو جاهل. إيدو اليمين سفكت الدم، وإيدو الشمال جمعت المجوهرات. راسو راس كلب بولدوغ مزروع على كتاف عتّال.

راسو رح يحمل الرعب للناس، وكتافو رح تحمل الألماز المنهوب. باختصار، هوي نيرون بذاتو، بيشبه سلفو كتير: شكلو متلو، وقلبو القاسي متلو، ومجنون متلو. جلاّد ماردين هيدا... إسمو ممدوح بك.»

ببلّش ممدوح يلقط كلّ هالشخصيات المسيحيي الكبيري بماردين. ببلّش بالمطران الأرمني مالويان، والخوارنة تبعولو، وبكمّل بخوارنة السريان، وأبونا ليونار، ورؤسا العيل الكبيري متل بيت جينانجي، وآدم، وكسبو، وبوغوص، وجرباقه، وحمال، ودقماق، وشوحا، وكاراغولا، ومعمارباشي، وغيرن.

ليونار أخدو السبت ٥ حزيران، ولَمّا وصل عباب الحبس، بيلقطو السجّان وببلّش يضربو ع راسو ويلبطو ويتمسخر علي. وأكيد ما تردد أنو ينتفلو لحيتو متلو متل كلّ الخوارنة الباقين. زتّو بالحبس، وقضى في ٧ إيام مع مجموعة كبيري من مسيحية ماردين، محشورين بزنزانة ضيّقة، ينامو فيا هنّي وواقفين. وصارو كلّ يوم ياخدو ع غرفة التحقيق، وممدوح يبهدلو، ويقلّو كلام ما بيليق بمقامو، ويضربو ويعذبو، ويسألو نفس السؤال: وين خبيت السلاح بالدير؟ وطبعًا ليونار ما عندو سلاح بالدير. وكان صرلو أكتر من ست أشهر شاحطينو برات الدير، والعسكر التركي في طالع نازل وبيعرف كلّ شي.

مرّة يربطولو إيدي وإجري ويدكربو عالدرج، يوصل كلّ جسمو مكسّر. ومرّة يقلعولو ضَفير إيدي. وتاني نهار يقلعولو ضفير إجري. وتالت نهار يعملولو فلق. وفي نهار يضربو بالكرباج، ضربات كتيرة. وفي مرّة علّقو بإجري ساعتين، وراسو لتحت، حسّ أنو رح ينفجر راسو. لّما فكو وقع عالأرض مغمي علي. كبّو علَي سطل مي مصقعة ت يوعا، وحملو عالحبس.

كانت ٧ أيام ما شاف النوم فيا قد ما تعذّب. لكن كانت إيامو وليالي كلاّ صلا، هوي ويللي معو بالحبس اللي تحوّل لكنيسة. المسبحة ما كانت تتوقف، والمارديني معروفين بحبن لمريم العدرا. وبالرغم من عذاباتو وعذابات المؤمنين اللي معو، كانو يعترفو عندو بخطاياهن، تمّ المؤمن بدينة الخوري، والحلّة يعطيا الخوري بإشارة من جبينو، لأنو ما كان يقدر يرفع إيدو.

ليلة الخميس كان آخر نهار إلو بالحبس. إجا ٢٥ شيخ مسلم، برمو ع كلّ المسيحيي المحبوسين يحرضون أنو يجحدو إيمانن المسيحي ويشهرو إسلامن. ولا واحد قبل. قالولن اختارو: أو الإسلام أو الموت. جاوبون كلّن: الموت. وبلّشو يتحضرو لتاني يوم، بعد ما عرفو أنو راح يضهرون من الحبس، وياخدون ع ديار بكر للمحاكمة. بس هنّي كانو عارفين أنو هي كذبة، والحقيقة أنّو بدّن يقتلون برّات المدينة.

وتاني نهار الجمعة، قبل الضو، ربطون تنين تنين أو تلاتي تلاتي وأخدون بقافلة برّات المدينة، وكان عددن أكتر من ٤٠٠ شخص، من أرمن وسريان وكلدان وإنجيليين، ماشين تعبانين، وبالكاد يقدرو يحكو، ومع هادا وكلّو كانو عم يتمتمو ترتيلة بونا يعقوب «ننال ننال جزانا في السما» علّمن ياها أبونا ليونار. كان ليونار ع راس القافلة، والمطران الأرمني مالويان بآخر القافلة. ولَمّا بِعدو منيح عن المدينة، وقّف ممدوح بك القافلة، وبلّش يقرا علين فرمان مزعوم بقول في أنو الحكومة غمرتكن بإنعاماتا، ومع هيدا وكلّو طلعتو خونة، وصدر حكم الموت بحقكن. يللي بيشهر إسلامو بيرجع فورًا سالم ع ماردين، لا وإلاّ الموت ناطركن. حضرو حالكن. معكن مش أكتر من ساعة تتاخدو قراركن.

ساعتا انتفض المطران وقلو لممدوح: نحنا ما بحياتنا كنا خونة للسلطنة العثمانية، ولا رح نكون خونة لإيمانا

المسيحي، مستعدين نموت كرمال يسوع المسيح. وكرّرو كلّن: منموت كرمال يسوع المسيح.

ساعتا شال المطران من جيبتو شقفة خبز، كسر وبارك وعطاها للكهنة يوزعوا عالمؤمنين. بهالوقت بتجي غيمة وبتحجب هالمنظر المقدّس عن عيون العسكر التركي. وبعد ما خلصو قلّو المطران لممدوح: عمل يللي بدك تعملو. وفلّت ممدوح زمرتو، وصارو يقتلو فين يمين شمال. كانت وجوه المسيحيي منوّرة، والبسمة ع شفافن، والسلام بقلبن. أبونا ليونار طعنو بخنجر بقلبو. وكان هالنهار عيد قلب يسوع الأقدس.

لَمّا رجع العسكر ع ماردين صار يخبر ويقول: نحنا بحياتنا ما شفنا ناس عندن هالإيمان القوي. لو نحنا صار فينا هيك، وإجو المسيحيي لقطونا، وقالولنا أو بتصيرو مسيحيي أو الموت، كنّا كلّنا صرنا مسيحيي.

وبعد ما خلصو من ليونار كمشو رفيقو أبونا دانيال الختيار، وزتّو بالحبس. فرض علي ممدوح يدفع ٢٣ ليرة ليفلتو. جبلو ياهن وعطا ياهن ولَمّا إجا ت يفل قلّو ممدوح بعد عليك تدفع ١٥٠ ليرة. قلّو لشو؟ قلّو ممدوح هيدي حلويني إلنا يللي قتلنيلك رفيقك ليونار وصار شهيد! واضطر أبونا دانيال يدفع ١٥٠ ليرة ثمن الدم الزكي.
قافلة ليونار كانت الأَولي. بعد منا صار في قوافل كتير تطلع من ماردين ومن البلدات المسيحيي، فيا رجال ونسوان وأطفال وإكليريكيين. قوافل الموت... بس بالحقيقة قوافل الحياة الأبدية.

بآخر الحرب هرب ممدوح واختفى، وما حدا عرف عنّو شي. معلّمو، الوالي رشيد بك، انتحر.

الخلاصة

يللي عملتو الحكومة التركية وجماعة الاتحاد والترقي بالمسيحيي لا يوصف. الأب جاك ريتوريه الدومينيكي، يللي كان شاهد بماردين بقول:

> أمرت الحكومة المنحرفة بإبادة المسيحيين، ونفَّذت ذلك بوحشية لم تشهدها البشرية من قبل، حتّى ولا أتيلا الذي لُقب سَوْط الله لا يبدو إلاّ حملاً بالمقارنة مع ما صنعه الأتراك عامَي ١٩١٥ و ١٩١٦، وتيمورلنك ذاته يخجل ويتنصل من أن ينتمي إلى هذا الجنس من القتلة المحترفين الجبناء الأنذال.

نعم، هيدا اللي صار... وليش صار هيك؟ السبب الحقيقي عبّر عنّو القسّ إسحق أرملة السرياني، يللي كمان كان شاهد بماردين وبقول:

> إنّ تركيا ما أنزلت بنا المظالم، وما ارتكبت الجرائم، إلاّ لأنّنا نصارى مسيحيون، لا ذنب لنا قطعًا وأصلاً. فلأجل الدين المسيحي المحبوب عُذِّبنا، ولأجله ذُبحنا، ولأجله استيق رجالُنا ونساؤنا، ولأجله مُتنا أشنعَ الموتات.

تنذكر وما تنعاد...